

المحاضرة (05)

الاتجاه الاجتماعي في تفسير الظاهرة الاجرامية

ارتكز اهتمام نظريات المذهب الفردي على الاهتمام بالسمات الشخصية العامة، والاستعدادات الفطرية بصورة خاصة، دون الاهتمام بالمجرم ذاته من حيث تكوينه واستعداداته الشخصية أو الاجتماعية، ركزت نظريات المذهب الاجتماعي جلّ اهتمامها على البيئة الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية. باعتبار أن الظاهرة الإجرامية ظاهرة اجتماعية، وبالتالي فإن عوامل السلوك الإجرامي تكمن خارج جسم الإنسان ابتداءً من البيئة الطبيعية التي يعيش فيها وانتهاءً بمختلف العوامل الاجتماعية المحيطة.

ولمّا كان أنصار هذا المذهب قد اتفقوا على إيلاء العوامل الاجتماعية الأهمية المطلقة في إحداث الجريمة، فإن أفكارهم ونظرياتهم جاءت متباينة بتعدد العوامل الاجتماعية وتنوعها، الأمر الذي دعانا إلى أن نتكلم عن أكثرها شهرة وعلى النحو التالي:

□ النظرية المخالطة الفارقة

□ النظرية الجغرافية.

01-نظرية المخالطة الفارقة

قدم عالم الاجتماع الأمريكي "أدوين سذرلاند" E. Sutherland "1883-1950" إحدى النظريات المفسرة للسلوك الإجرامي التي تعد من بين أفضل النظريات في دراسة أثر المحيط الاجتماعي على السلوك الإجرامي، والتي جاءت رداً على النظرية البيولوجية Biological Theory التي كانت سائدة في علم الجريمة والمفسرة للسلوك الإجرامي برده إلى التكوين البيولوجي والوراثي للشخص.

إن نظرية المخالطة الفارقة أو المغايرة Differential Association Theory تعد نظرية منطقية وضعت السلوك الإجرامي بطريقة حلقة من الاتصالات ابتداءً من السنوات الأولى في حياة الفرد، ولها علاقة كبيرة بالتنشئة الاجتماعية لحياة الأفراد المجرمين، فهي نظرية صرفة Sociological Theory وتؤكد على العلاقات الاجتماعية حيث تتميز بالصفات التالية:-

1. التكرار Frequency.

2. الاستمرارية Continuity.

3. العمق Intensity.

4. معالم ذات أثر في شخصية الأفراد.. إلخ من الصفات المؤثرة في حياة الفرد. ويمكن أن نتكلم عن نظرية " سذرلاند " بنقاط أساسية ملخصها:-¹⁸

1. السلوك الإجرامي مكتسباً وليس موروثاً.

2. السلوك الإجرامي يتعلم عن طريق التفاعل مع الآخرين، خلال عمليات التواصل والاتصال Association. وبالمقابل فإن وسائل التواصل غير الشخصية مثل الصور المتحركة والصحف ليس لها أهمية تذكر في تحريك السلوك الإجرامي.

3. المرحلة الرئيسة لعملية التعلم تحدث من خلال العلاقات الودية الحميمة ضمن الجماعات المختلفة Intimate Personal Groups

4. عملية التعلم تتضمن الآتي:-

- فن ارتكاب الجريمة الذي يكون معقداً في بعض الحالات ويكون في حالات أخرى بمنتهى البساطة.
- تحديد اتجاهات الحوافز المعينة، و"الدوافع" Motives، و"الاتجاهات" Attitudes، و"تبريرات" Rationalization السلوك الإجرامي.

5. يتم تعلم الاتجاه المحدد للدوافع والحوافز من خلال تعريفات القواعد القانونية المفصلة، مثال ذلك: إن بعض المجتمعات يحاط الفرد فيها بجماعات يميزون القواعد القانونية ويحترمونها، وفي البعض الآخر يكون تفسيرهم لمثل هذه القواعد تفسيراً مخالفاً لها، وفي هذه الحالة يحدث الصراع للفرد.

6. يصبح الشخص مجرمًا بسبب زيادة نسبة التعريفات والتفسيرات المنتهكة للقانون عن كفة احترامه، والتي تحدث نتيجة لاختلاط الفرد بأفراد يتبنونها، وفي هذه الحالة يكمن الموقف التفاضلي Differential Attitude.

7. قد تختلف العلاقات التفاضلية عن بعضها من حيث: التكرار والاستمرارية والأسبقية وعمق التأثير على الفرد، وهذا يعني أن مثل هذه العلاقات وخطواتها تنطبق على العلاقات الإجرامية وللإجرامية، فإذا اتصل الفرد بمجرمين وفقاً للخطوات أعلاه يصبح مجرمًا أو يكون لديه استعداد للإجرام كبير.

8. إن تعلم السلوك الإجرامي عن طريق اختلاط المجرم أو الجانح بأنماط إجرامية يتضمن كافة الآليات التي تتضمنها أية عملية أخرى.

9. إن السلوك الإجرامي يعبر عن احتياجات الفرد وعن قيمه، لكن هذه الاحتياجات والقيم لا تقتصر على السلوك الإجرامي فحسب لأنها تكون مشمولة بالسلوك غير الإجرامي، فاللص مثلاً يسرق للحصول على المال يشبه سلوكه سلوك العامل الأمين الذين يشتغل للحصول على المال أيضاً، وهكذا في كل العمليات الإنسانية، فالدوافع عامة وموجودة لدى الاثنين.

تقدير النظرية:

تعد هذه النظرية من النظريات الهامة في تفسير السلوك الإجرامي، حيث تناولت مشكلة الجريمة من وجهة نظر سوسيولوجية صرفة، وتؤكد دور الجماعات الأولية Primary Groups التي ينتمي إليها الفرد، وما يمكن أن تمارسه من تأثير على شخصيته وسلوكياته، كما تصلح هذه النظرية لتفسير السلوك السوي والسلوك غير السوي.

وبناءً على ذلك تم قبول هذه النظرية كما هي عليه، واقترح آخرون بعض التعديلات والإضافات عليها. ومع ذلك فلم تسلم من الانتقادات التي ملخصها ما يلي:-¹⁹

1. عجزها عن تفسير الجريمة بكل أنواعها، فهي مثلاً لا تفسر الجرائم المرضية مثل السرقة.

2. أشار "جلووك" Glueck إلى أن العلاقة السببية التي فرضتها هذه النظرية بين الاختلاط بمنحرفين ومجرمين وبين ارتكاب الفرد للسلوك الإجرامي غير كافية لتفسير ظاهرة الجريمة، فمن الطبيعي أن يختلط المنحرف بأفراد آخرين يتوافق معهم في القيم والاتجاهات السلوكية، كما إن هذه النظرية لم توضح السبب في عدم ارتكاب رجال الشرطة والقضاء الجريمة بنسبة كبيرة مع أنهم أكثر الناس اختلاطاً بالمجرمين.
3. لا يمكن التسليم بإنكار "سدرلاند" لأثر العوامل الداخلية كليةً، وقوله أن الأفراد إذا تواجدوا أمام مؤثر خارجي معين فإن سلوكهم يكون موحداً متماثلاً يمثل إطلاقاً لا يتفق والواقع.
4. إذا كانت الجريمة سلوك متعلم عند "سدرلاند"، فإن هذا السلوك موجود أصلاً وهو بحاجة على تفسير وهذا ما لم تفعله تلك النظرية.
5. أهملت النظرية العوامل النفسية والاقتصادية والسياسية ..الخ.
6. من الصعب دحض هذه النظرية أو إثباتها، فهي نظرية واسعة فضفاضة.
7. لا أحد ينكر أهمية متغير الاختلاط الاجتماعي وأثره على السلوك الإنساني، إلا أن هناك من يحصره بشكل أساس على المخدرات والكحول والتدخين وبعض السلوكيات المنحرفة.²⁰
8. اتسمت أفكار هذه النظرية بالحمية Determinism، أي أن الفرد إذا اختلط بالمجرمين سيُلْقن السلوك الإجرامي ولا دخل لإرادته في اختياره.
9. إن هذه النظرية لم تقدم حلاً للسؤال حول مَن تعلم المجرم أو المنحرف الأول الانحراف؟! إن دراسة ظاهرة الجريمة وفق هذه الكيفية أمر بالغ الصعوبة إن لم يكن مستحيلاً، فكيف يستطيع الباحث إن يتدخل في عمل الجهات الأمنية والقضائية، ويتابع كل مجرم على حده منذ القبض عليه حتى إنهائه لفترة العقوبة، كذلك لم تتحدث هذه النظرية عن موضوع السببية وهذا مفتاح المعرفة الموضوعية في فروع المعرفة الاجتماعية، ومن جهة أخرى تجاهلت الكلام عن العوامل الاقتصادية والسياسية والنفسية بشكل واضح وصريح، هذا بالإضافة إلى إخفاقها في وضع سياسة اجتماعية من شأنها أن تجنب المحكومين الوصم ورد الفعل الاجتماعي.³⁰ لذا تبقى آراء هذه النظرية مجرد وجهات نظر حتى يتم تطبيقها.